ندوة المدى

"الإعلام العراقي والأزمة السياسية الحالية"

قراءة في نشوء الأزمات وانخراط الإعلام في السياسة

أربيل / سجاد حسن محي
تصوير: سندريلا الكروي

ندوة المدى لمناقشة الاعلام والازمة السياسية

الإعلام الرسمي العراقي كان متخوّفاً من تظاهرات ٢٥ شباط في ساحة التحرير، فعمد إلى بثّ سلسلة من الأفلام عن جرائم النظام السابق لترهيب المجتمع من العودة إلى الدكتاتورية وروّج لمصطلح (المندسّين) بين المتظاهرين ليزرع عدم الثقة ويفتّت الوحدة الاجتماعية.

في نشوء الأزمات

بداية الندوة رحب مدير مكتب المدى في إقليم كردستان عامر القيسي بالحضور وقال: إن الإعلام العراقي بعد ٢٠٠٣ واجه الكثير من المعوقات وأمامه تحديات كبيرة وهو نتاج للصراع الطائفي والسياسي حتى أصبح انعكاسا لكل تلك التناقضات.

ثم استهل الإعلامي زهير الجزائري كلمته قائلا: بعد الحرب العالمية الثانية ظهرت أزمات في مختلف دول العالم وخصوصا تلك التي شهدت سقوط الأنظمة الشمولية وظهور التعددية القومية والطائفية وإن اغلب تلك الدول كان الحاكم الرئيس فيها حزبا واحدا على شكل هرم والقاعدة متساوية يمثلها رمز أوحد، وفي هذه الفترة التي شهدت سقوط هذه الأنظمة وعدم ممارسة الديمقراطية للأحزاب السياسية برزت ظواهر منها :تمثيل الطوائف وحتى العشائر داخل الحزب وحدثت احتكاكات وحروب أهلية بعد الحرب العالمية الثانية كان ضحيتها ٥٠٠ ألف شخص ،و كان عدد الحروب الأهلية ١٤٢ خلال فترة الحرب الباردة وكانت تلك الحروب مادة إعلامية للمؤسسات الصحفية وكان في لندن مؤسسة تلفزيونية تنقل الأخبار من الأماكن الساخنة من البوسنة والهرسك والشيشان، وإن الحروب والأزمات شكلت موضوعا إعلاميا جيدا، أما المؤتمرات التي يعقدها السياسيون فلا يستفيد منها الإعلام إلا في لقاءاته خلف الكواليس مع السياسيين الذين يصرحون له بما يشاءون ليتحول التصريح بعدها إلى مادة إعلامية يختلف حجمها حسب الموضوع المثار.

لذا نصل إلى نتيجة أن الأزمات هي(فردوس الإعلام) ،مثلا دولة مستقرة مثل سويسرا لا تحصل على أخبارها إلا نادرا وعن مواضيع اقتصادية حصرا.

في العالم العربي الذي شهد ربيعا بعد مدة صراع طويل مع الدكتاتوريات واحتلال المتظاهرين للساحات العامة من شباب الفيس بوك وأحزاب دينية وبعد سقوط الأنظمة الدكتاتورية ،بدأت الأزمات تكبر لأن كل القوى على الساحة العربية تريد احتكار السلطة مع إمكانية صراع المكونات مع بعضها البعض.

وأضاف الجزائري: في العراق منذ ٢٠٠٣ ولحد الآن حصلت ٥٢ أزمة بدءا من أحداث الفلوجة والنجف، وكانت أول جلسة للمجلس الوطني في بغداد في زمن بريمر وعند افتتاح الجلسة من قبل الشيخ عجيل الياور و إياد علاوي وكان رئيس الجلسة يحاول تنظيم الحوار بين الحاضرين إذ هناك ١٢ ميكرفونا والكل يريد طرح آرائه ومصادرة حق غيره في التعبير ولم تكن أي إمكانية للحوار، اكتشفت أن هناك الحاجة لشخص مستبد لديه الكاريزما لفرض هيبته في إدارة الحوار وتنظيمه، ولم نخرج بأي نتيجة من هذه الجلسة.

في الأيام الأولى بعد٢٠٠٣ لم يتجاوز عدد الصحف الثلاث صحف فقط ليقفز العدد بعد ٣ أشهر إلى ١٥٣ صحيفة، وهناك عدة صحف قسم منها ممول من قبل الدولة وبعضها مستقل والبعض الآخر يموله رجال أعمال، لذا فمن الطبيعي أن يعكس الإعلام الصراعات السياسية ،وإذا أخذنا عينات من تلك الأزمات نجد أن أول أزمة حصلت في ٢٠٠٦/٢٠٠٧ فكان القتل يوميا لأسباب مختلفة وبأساليب عديدة، إذ كان يقتل يوميا بحدود ١٦٢ شخصا، وانقسم الإعلام إلى قسمين كانعكاس لانقسام المجتمع طائفيا ،فظهر الإعلام الشيعي و الإعلام السني وكلا الطرفين يصور نفسه ضحية لذلك القتل،فقد أدى الإعلام دورا تحريضيا في مسلسل القتل الطائفي الذي حصل آنذاك.

وأكد الجزائري أن هناك من يتهم الإعلام بوصفه عاكسا للأزمة وليس مساندا لها فكلمة" الحيادية" كانت شائعة سابقا، ولكن في روانـدا ثبت عمليا فشل هذه النظرية بعد أن قامت بعض وسائل الإعلام بالاشتراك في قتل الهوكو، إذ تعمد ذلك الإعلام كشف مواقع تواجدهم لتتم تصفيتهم، فحوكم الإعلام كطرف أساس في الأزمة، فتم استبدال مفردة الحيادية إلى مفردة إنصاف الضحية.

وفي فترة الحرب الطائفية أدى الإعلام دورا في تأجيج الأزمة، وأيضا في وقت التصويت على الاتفاقية الأمنية بين العراق والولايات المتحدة الأميركية، فكان المجتمع العراقي منقسما بين مؤيد ورافض لها ،إذ أن ١٣٪ من العراقيين فقط يعرفون طبيعة هذه الاتفاقية استنادا للإحصائيات الإلكترونية، وقبل التصويت عليها في البرلمان العراقي كان هناك تخوف وكان البعض يتأهب للخروج بتظاهرات ضدها ،وشهد البرلمان ٤٨ مداخلة حول بنودها ، كما نشبت نزاعات ومشاجرات عديدة يومها داخل البرلمان حتى أن المشهداني وبأسلوبه الفج قال للبرلمانيين: إن أسلوب الذين يجلسون في المقاهي أكثر تحضرا منكم! فالشارع العراقي يتابع السياسيين وطريقة إدارتهم الأزمة لتنعكس على مفردات سلوكياتهم.

بعدها تطرق الإعلامي زهير الجزائري إلى تظاهرات ٢٥ شباط فقال: كانت أول تظاهرات من نوعها في العراق إذ لم تكن منظمة بقيادة الأحزاب الرئيسة خلافا لما حدث في تظاهرات سابقة في الخمسينات من القرن المنصرم من حيث التنظيم والشعارات، ،أما تظاهرات ٢٥ شباط فكانت على شكل كتل بشرية متناثرة هنا وهناك ومطالبهم متشعبة وكثيرة لا حصر لها لافتقادها القيادة التنظيمية.

وأشار الجزائري لازدواجية الإعلام العراقي في تغطية تلك التظاهرات فيقول: الإعلام الرسمي العراقي كان متخوفا من تلك التظاهرات، فعمد إلى بث سلسلة من الأفلام عن جرائم النظام السابق لترهيب المجتمع من العودة إلى الدكتاتورية وروج لمصطلح(المندسين) بين المتظاهرين ليزرع عدم الثقة ويفتت الوحدة الاجتماعية.

بدأت تلك التظاهرات الساعة العاشرة صباحا وسط إجراءات أمنية مشددة صحبها قطع كل الطرق المؤدية إلى ساحة التحرير باستثناء طريق واحد يخضع فيه المارون إلى تفتيش أمني دقيق، وكانت هناك محاولات لتغييب الإعلام من تغطية الاحداث الجارية على الأرض،لكن الإعلام ولأول مرة في تاريخ العراق يغطي حدثا ترفضه السلطة، حتى أن بعض وسائل الإعلام غيَّر من آلية عرضه الأحداث ،إذ بدأ يستقبل الصور ومقاطع الفيديو الملتقطة بواسطة الموبايل.

ازدواجية تغطية ٢٥ شباط

في هذا اليوم(٢٥) شباط من العام الماضي وقع الإعلام في ازدواجية واضحة من خلال تغطيته تلك التظاهرات، فرأينا الإعلام الحكومي يسأل المواطنين عن الطريقة التي تعاملت فيها الأجهزة الأمنية معهم، وكما تعلمون فإن عنصر الحيادية غير موجود لأن مقص الرقيب(أو حارس البوابة) يقوم بحذف المقاطع والموبايلات التي لا تنسجم مع توجهات السلطة، وفي الجانب الآخر نرى إعلاما همه الوحيد التركيز على الاعتداءات التي تعرض لها المتظاهرون هناك ،وبالتحديد زهاء الساعة ٣ بعد الظهر وقت اقتحام ساحة التحرير من قبل الأجهزة الأمنية، وبالنتيجة فإن الإعلام محكوم بالانقسام السياسي في المجتمع ولا يمكن أن يحتفظ بالحيادية كما قال الإمام علي عليه السلام:كالاحتفاظ بالجمرة في اليد، ولكن رغم كل ذلك يوجد في الوقت الحاضر هامش حرية للصحفي إذ يستطيع التنقل من صحيفة إلى أخرى فضلا عن أن الكثير من الصحف التابعة لأحزاب سياسية تضم صحفيين مستقلين ،إذ لا يشترط الانتماء للحزب كشرط للعمل فيها.

وفي ختام كلمته أكد الإعلامي زهير الجزائري ضرورة أن يوجد الإعلام هوية مشتركة لجميع الأطياف في العراق.

عدم حيادية الإعلام

بعدها ألقى مدير مكتب المدى في أربيل عامر القيسي كلمة عن واقع الإعلام الرسمي العراقي فقال: من خلال عملي السابق في شبكة الإعلام العراقية مررت بتجارب قاسية واكتشفت عدم الحيادية في التعاطي مع مجمل القضايا السياسية المطروحة ،فمن المفترض من تلك الشبكة أن تغطي كل فعاليات ما بعد ٢٠٠٣ ،أي بعد سقوط الدكتاتورية ،فمثلا كان الناس يحتفلون في ساحة الفردوس في هذا اليوم وكان أناس آخرون حزينين لتغيير النظام ودخول القوات الأجنبية إلى العراق، وقمنا بإجراء بعض التعديلات في جريدة الصباح لكننا فوجئنا بكتاب من مجلس الوزراء يعيد الأمور إلى وضعها السابق، فشبكة الإعلام العراقي الممولة من الدولة لم تكن مهنية وموضوعية ولا حتى حيادية، فهي في زمن علاوي شبكة علاوية وفي زمن الجعفري جعفرية وفي هذا الزمن مالكية.

الربيع العربي من صنع الإعلام

نقيب صحفيي كردستان أزاد حمد ابتدأ كلمته بالقول: الصحافة هي السياسة ،فالربيع العربي من صنع الصحافة،والإعلام هو الذي يحرك الاحداث وله علاقة مباشرة بالسلم الأهلي، فبمقال نستطيع أن نشعل حربا أهلية في إقليم كردستان.

العراق يعاني من بنية قانونية مهتزّة ،فما زالت المحاكم تتعامل معه وفق قانون العقوبات العراقي الذي يتضمن قوانين سالبة للحرية تحولت إلى غرامات مالية كبيرة فمثلا صدر قرار في إقليم كردستان بتغريم صحفي مبلغ ٥٠ مليون دينار!

أما في بغداد فهناك شبكة الإعلام العراقي التي تملك عددا من القنوات التلفزيونية والمؤسسات الصحفية، فأغلب وسائل الإعلام مملوكة لأحزاب سياسية تحتكرها وتسيرها.

أما عن الصحافة الأهلية فأوضح أزاد حمد أنه: ليست هناك صحافة أهلية بالمعنى المهني وإن وجدت فهي محدودة ،وبقيت هذه الصحف متعثرة في علاقاتها وآلية عملها في العراق عموما وكردستان ،ونشأت مافيات تمثل إمبراطوريات اقتصادية مدت أذرعها إلى الإعلام وقامت بشرائه.

فالصحافة في كردستان وفي العراق بحاجة إلى نظريات خاصة، إذ حمل الإعلام الكردستاني النظريات القومية لكل الأحزاب السياسية، في حين أن واجبه لا يقتصر على ذلك بل يجب أن يكون الإعلام منبرا للكل في التعبير عن آرائهم لا أن يقتصر عمله على نقل تصريحات السياسيين إلى الناس فقط.

في كردستان تواجه الصحافة تحديات كبيرة، وكان الاختلاف بداية عن تعريف الصحفي واشتراط انتمائه إلى نقابة صحفيي كردستان، لكن بعد ذلك صدر القانون ٣٥ الذي يعرف الصحفي بأنه:كل من يمارس العمل الصحفي، وهنا بدأت المشاكل فالمحاكم باتت محرجة في كيفية التعامل مع قضايا الأشخاص الذين يمارسون العمل الصحفي، وقد وصل عدد الصحفيين في كردستان إلى ٥ آلاف ،لذلك أصبحت الحاجة ماسة لإجراء ترشيق في النقابة من خلال تعريفات واضحة ودقيقة للصحفي.

إيجاد أرضية مناسبة لتغطية الأحداث

وأكد نقيب صحفيي كردستان إن نقابته تتابع باستمرار أوضاع الصحفيين في كردستان وتقدم تقاريرها إلى الصحافة العالمية، وهناك تنسيق مع الجهات الأمنية لإيجاد أرضية مناسبة للتغطية الإعلامية للتظاهرات التي تحدث في الإقليم.

وشهدت الندوة مداخلات واسعة من الحضور ،وكان أول المتحدثين النائب في البرلمان العراقي حسن العلوي فقال: وجدت من خلال عملي في البرلمان العراقي عزوفا من قبل البرلمانيين عن قراءة الصحف ولا يعرفون ماذا يدور في الإعلام ،وهذا ينطبق على مستشاريهم في أعلى مراكز الدولة، وبالمقابل فإن لكل سياسي قناة تلفزيونية يمولها باستثناء علاوي الذي لم يقبل بذلك.

ازدواجية التعامل مع الصحافة

وتطرق العلوي إلى ازدواجية تعامل النظام السابق مع الصحفيين العرب ونظرائهم العراقيين وكيف أن طارق عزيز وزير الثقافة في النظام السابق ابرم عقدا مع وليد أبو ظهار لإصدار جريدة الوطن العربي في باريس التي كلفت الدولة وقتها مليوناً و٢٠٠ ألف دولار، في حين كان يعطي لابن الصحفي العراقي المتقاعد مبلغ سبعة دنانير ونصف الدينار فقط!!

وأضاف العلوي:كنت أتوقع بعد سقوط النظام السابق أن يكون النظام مؤسساتيا ،لكن للأسف هذا لم يحصل مطلقا، وإني أطالب بسن قانون للمطبوعات لتنظيم العلاقة بين الإعلام والسياسة.

وعلق الإعلامي عامر القيسي على مداخلة النائب حسن العلوي قائلا: أتفق مع ما ذهب إليه السيد العلوي ،فنحن في المدى فتحنا ملفات فساد كثيرة لكن لم يكلف أي برلماني نفسه بالاتصال بنا للاطلاع على الحقائق، أما إذا مس مقال أو كلام منشور في الصحيفة أي برلماني نجد(فورا) قضية مرفوعة في المحاكم ضد صحيفتنا.

انتكاسة الصحافة

مدير تحرير أكانيوز الأستاذ جمال رأى أن الانتكاسة الحقيقية للصحافة حصلت بعد ١٩٥٨ ومرحلة الستينات التي شهدت تمزقات سياسية عديدة ولم تؤسس صحافة مستقلة لحد الآن وأضاف: إن الإعلام محتكر من قبل السلطة السياسية في النظام السابق ليصبح ناطقا باسم القائد الأوحد ،أما بعد ٢٠٠٣ فبرزت أربعة تيارات إعلامية، الأول حكومي وهو ناطق ومعبر عن سياساتها متمثلاً بشبكة الإعلام العراقي، والثاني حزبي لديه إمكانات هائلة للتمويل، الثالث مستقل وهو محدود الانتشار والإمكانات لأسباب مختلفة، والرابع هو المعادي للتحولات الديمقراطية فيكون خطابه ووسائله مختلفين.

لذا فإن الإعلام العراقي يواجه معوقات عدة ،فالدستور حجّم الإعلام في مادته(٣٠) بعبارة فضفاضة تنص على عدم المساس بالنظام العام والآداب، وكما نعرف فإن هذه الأمور نسبية لا يمكن تعميمها، فحرية التعبير أصبحت مشروطة ،وما حصل في ساحة التحرير يوم٢٥ شباط /٢٠١١من انتهاكات بحق الصحفيين خير دليل على ذلك.

ثم علق زهير الجزائري على هذا الموضوع فقال: إن حرية الحصول على المعلومة يجب أن تكون المرحلة الثانية للنضال الصحفي ،فالوسط الصحفي منقسم للحصول على الامتيازات والشقق والرواتب من الحكومة والدولة وكما نعرف فإن الحكومة إذا أعطت شيئا فإنها بالمقابل تأخذ أشياء.

ثغرات الإعلام

المستشار نعمان سهيل أغنى الندوة بمداخلته التي بينت أن مناقشة مثل هذه المواضيع الشائكة تتطلب عقد الكثير من الجلسات والندوات وقال: يعاني الإعلام الكثير من الثغرات والنواقص لأنه يعاني أزمة مثلما العملية السياسية، وللأسف خضع الإعلام لهيمنة القوى السياسية التي فرضت هيمنتها وبث أفكارها القومية أو الدينية فيه، وهو مازال متقوقعا داخل حدود المنطقة أو العراق بعكس الإعلام الغربي أو العربي.

وفي كردستان سُجل الكثير من الملاحظات عن الصحافة والإعلام فيها لأنه موجه بالأساس إلى شعب كردستان فقط، إذ لا يوجد في إقليم كردستان إعلام عربي أو قناة تلفزيونية كردية باللغة العربية، ولم يحاول الإعلام الكردي تجسير العلاقة بينه وبين الإعلام العربي في بقية مناطق العراق ،فلا بد من عقد جلسات بين الأدباء والمثقفين الكرد والعرب على مائدة واحدة.

وفي مداخلة أخرى لحسن العلوي أثنى على الحزب الشيوعي لأنه كان الجسر الواصل بين القوميتين الكردية والعربية.

افتراق السياسي والإعلامي

المثقف الكردي جلال زنكابادي أشار في مداخلته (وبسبب المشاكل الصحية التي يعانيها) قرأها نيابة عنه مدير مكتب المدى في أربيل عامر القيسي إلى دور السياسيين السلبي في الصحافة وإن للإعلام العراقي مذاهب شتى لارتباطه بالأحزاب والكتل السياسية، وهناك ندرة في المنابر المستقلة التي تمثل لسان حال الشعب الذي يكابد الأهوال وأغلب الساسة منشغلون بالبزنس والاختلاس والنهب والعيش الباذخ بل اغلبهم متغطرس لا يقرأ وينظر إلى الإعلاميين والكتاب باستعلاء واستهانة.

وأضاف زنكابادي: وبالطبع ثمة استثناءات في هذه القاعدة لكنها تظل من دون تأثير يذكر وسط معمعة الخراب والدمار، لذا فإن الإعلام الجاد والرصين المدافع عن مصلحة الشعب في واد وأغلب السياسيين في واد آخر، فمصير العراق في خطر شديد،وختم كلمته بالقول: هذا رأي مواطن شبه أصم له علاقة عامة بالموضوع المطروح ولي تماس يومي مع جريدة المدى والاتحاد وبعض المواقع الانترنيتية..قد يكون هذا الرأي نشازا فعذرا ولعنة على طرشي!

ثروة وثورة

الكاتب والإعلامي سليمان أبو يوسف كانت مداخلته مقتضبة أوضح فيها أن الإعلام ثورة وثروة في آن واحد ،فتكنولوجيا المعلومات كانت كجدار من الاسمنت أما الآن فهي في متناول الجميع،، وكانت صحيفة طريق الشعب تدعو دائما إلى غلق الأصوات المأجورة في زمن عبد الكريم قاسم،كما أن سليمان أبو يوسف رأى في الربيع العربي جسرا لصعود التيارات الإسلامية إلى السلطة، كما حدث في مصر وتونس وليبيا.

أزمة الإعلام الحقيقية

رئيس اتحاد الأدباء والكتاب السريان روند بولص كوركيس تحدث عن مهنة الصحافة أو مهنة البحث عن المتاعب وصاحبة الجلالة قائلا: ليست هناك أزمة في السياسة بل أن الإعلام يمر بأزمة ،فقبل ٢٠٠٣ كان الإعلام حزبيا خاضعا لسلطة الدكتاتور ،وبعد ٢٠٠٣ كانت الفرص مهيأة لتجربة ديمقراطية ناشئة في العراق وكان لهذا الإعلام الفتي أدوات التعامل مع مجمل القضايا المصيرية، وتساءل: كيف يستطيع صحفي في العراق طرق مواضيع كبيرة مثل ميناء مبارك وقانون النفط والغاز والأزمات والإرهاب في ظل انعدام الشفافية، فبعض الإعلام العراقي يحاول أن يحقق شيئا ولكنه لا يستطيع.

وتطرق بولص إلى مشكلة محاكاة أداء المحترفين من قبل الصحفيين المستجدين، وليست لدينا رؤية إعلامية لإدارة الأزمات المختلفة.

أما الإعلامي وعضو مفوضية الانتخابات السابق حسين الهنداوي فقد أكد أن موضوعة الأزمة السياسية مستدامة وليست راهنة، وأن وسائل الإعلام غير المملوكة للدولة متميزة أكثر من غيرها بسبب استقلال قرارها وابتعادها عن هيمنة السياسيين.

وأردف الهنداوي: إن قضية سيطرة السياسيين على وسائل الإعلام جذورها ممتدة من زمن المعارضة العراقية في زمن النظام السابق ،فصحيفة المؤتمر في ١٩٩٣ كانت تحمل دوما في صفحتها الأولى صورة احمد الجلبي، واستمرت هذه النزعة في كل الحكومات التي أعقبت ٢٠٠٣ وإن أسوأ تعامل مع الصحفيين كان في زمن إياد علاوي ،وفي زمن الجعفري لم يتغير الحال كثيرا من خلال تدخله في شبكة الإعلام العراقية وامتد هذا التدخل إلى يومنا هذا عن طريق المستشارين الإعلاميين للسيد رئيس الوزراء.

نظمت مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون / مكتب إقليم كردستان في أربيل يوم ٣\٧\ ٢٠١٢ ندوة بعنوان " الإعلام العراقي والأزمة الحالية "بحضور عدد من المثقفين والإعلاميين في الإقليم، وتركزت محاور الندوة في ثلاثة اتجاهات رئيسة: الإعلام وعلاقته بالأزمات، الربيع العربي وسقوط الأنظمة الدكتاتورية، ازدواجية الإعلام في تظاهرات ٢٥ شباط وتداعياتها على العمل الصحفي في العراق، فضلا عن التطرق إلى واقع العمل الصحفي في إقليم كردستان.